

الكنداكة (أيقونة) ثورة ديسمبر 2018م السودانية

بروفيسور: عمر حاج الزاكي

مستخلص

هدفت هذه الدراسة للتعريف باللقب التشريفي "كنداكة" الذي أُلحق مؤخراً بالنساء السودانيات اللاتي شاركن بقوة في قيادة وإنجاح ثورة ديسمبر 2018م؛ التي أطاحت بنظام الإنقاذ. ولتحقيق ذلك تم الرجوع للعصور التاريخية البعيدة، التي راج فيها ذلك اللقب وكيف كانوا ينطقون ويكتبون الكلمة مع التعرف على معنى الكلمة ومدلولاتها في تلك الأزمنة التي تعود للقرون الثلاثة قبل الميلاد والقرن الأول الميلادي، كذلك تطرق البحث بإيجاز لمسيرة المرأة السودانية عبر الأزمنة وحتى وقتنا الحاضر وبخاصة في مجال المشاركة الفاعلة في كل أنشطة المجتمع. وخلصت الدراسة إلى أن المرأة السودانية ظلت ومنذ العصور القديمة فاعلة في مجتمعها وأنها حظيت بتقدير شقيقها الرجل الذي حفظ لها كرامتها وإنسانياتها وفتح لها مجالات المشاركة دون قهر أو احتقار.

وختمت هذه الإصدارة بملحقين أولها تعريف بالكنداكة التي قاتلت الرومان والآخر تعريف مختصر بالكتابة المروية.

Abstract

This study aimed to identify the honorary tittle (Kandaka) that was conferred on the Sudanese women who participated effectively in the leadership and success of Dec. 18 Revolution that overthrew (El- Engath) regime.

In order to achieve that it was necessary to dig deep in the ancient history of the Sudan to the times when the title (Kandaka) was widely heard. It was found that the word was Merotic (Pertaining to the Meroitic Kingdom that florished in the Sudan between 750 B.c. 350 A.D)

Besides the historical status of the (Kandaka) in the past, the paper gave a brief summary of the roles of women through

the times that lapsed between that far past and the present and that lead to the conclusion that the Sudanese women were always there participating in the social, political and economical activates it is also observed that men in Sudan held women in high esteem and never despised or segregated them for their gender.

تقديم:

كنداكة كلمة مفردة* أعيد إحيائها في السودان اليوم بعد اندثارها لما يقارب الألفي عام تقريبا عندما كانت تلحق بأسماء بعض عظيمات مملكة مروي من البيت الحاكم أعيد إحيائها وبقوة مع تصاعد ثورة الشعب السوداني في ديسمبر 2018م التي أطاحت برئيس السودان السابق ونظامه وكان للنساء الدور الأبرز في القيادة الميدانية والجماهيرية لتلك الثورة. استحققت أولئك الثائرات المتقدّمات للصفوف والمقدّمات للتضحيات الجسام ذلك اللقب تشبها بالجدات من الأسلاف اللائي برزن في ميادين قيادة المجتمع، أسوة بالرجال، في تلك الأزمنة البعيدة. ومعلوم إن الشعوب التي تنشذ التغيير والخلاص والارتقاء لسلم المجد كثيرا ما ترجع للصفحات المجيدة في تاريخها تستمد منها الثقة وتستلهم المواقف، اقتداء بالأجداد نساء كانوا أم رجالا من أصحاب المواقف وتحقيق المجد، سواء كان ذلك في ميدان الحروب أو العلوم أو المواقف الوطنية أو حتى الأقوال الحكيمة أو الشجاعة ولسان حالهم يردد اذا كان أسلافنا كذلك فأنا جديرون أن نكون مثلهم جرأة وأقداما وأبداعا.

والرجوع لزمان الكنداكات الذي انتهى تقريبا في القرون الأولى بعد الميلاد لا يعني انه لم تبرز في السودان نساء يقتدى بهن طيلة الألفي عام الماضيين. لقد كان لنساء البلاط دورا كبيرا ، كما سنرى في مملكة المقرّة النوبية وفي الفترة الوسيطة من تاريخ السودان أيضاً ظهرت بعض النسوة اللائي نلن قسطا من التعليم الديني أسسن

* أيقونة (Icon) هي كلمة باللغة الإنجليزية تعني رمز له قدسية وبخاصة بالنسبة للكنيسة الشرقية . وكنداكة في أصل لغة القوم (المرويين) تكتب كدكي، كت كي أو كد وي ، في الإنجليزية تنطق (كنديسي) وفي العربية كنداكة.

الخلاوي وتخرج على أيديهن الكثيرين ويذكر منهن فاطمة بت جابر وعائشة بت القдал وبتول الغبشاء⁽¹⁾ .

وبرزت في العصور القريبة نساء أعلام مثلن جرأة وجسارة أجيال النساء المتعاقبة في السودان، ومن أولئك النساء رابحة الكنانية التي علمت بسير حملة سرية يقودها راشد بك أيمن قوامها 400 جندي نظامي و 1000 مقاتل من القبائل هدفها مفاجأة ومهاجمة المهدي في قدير . استشعرت رابحة الواجب فعقدت العزم على إفشال راشد وظلت تجري الليل كله لتبلغ المهدي بالعدو القادم فأعد المهدي العدة وانقلبت المفاجأة على راشد والله أعلم لولا ما قامت به رابحة ما كان سيكون عليه مسار الثورة المهدية الوطنية . وهناك نموذج آخر في الإقدام تمثله الأميرة النوبالية مندى ابنة السلطان عجبنا (1918/17) التي قادت قومها في قتال الإنجليز مؤازرة والدها في جرأة وبسالة نادرين فخلدها التراث الشعبي بأنها المرأة الحديدية ويعزى لها إنها ابتدعت الموسيقى الحماسية التي شكلت الجلالات فأصبحت فيما بعد المارش الأساسي للجيش السوداني⁽²⁾ .

وبجانب هذه الأدوار القيادية فقد ظلت نساء السودان عبر التاريخ نساء فاعلات في المجتمع يدرن أمور أسرهن بجدارة ويشاركن الرجال في الزراعة والحصاد وفي أوقات الحروب يقفن خلف الرجال، وتبرز بينهن شاعرات (حكامات) يحرضن الرجال على الثبات والأقدام ويخلدن بأشعارهن المواقف البطولية للفرسان . ومع بداية القرن الماضي اقتحمت المرأة ميدان التعليم الحديث وبصبر وثقة وقوة وأثبتت جدارتها وتفوقها حتى نالت الدرجات العليا في مختلف التخصصات فبرزت بينهن العالمات المتخصصات في مجالهن وتقلدن الأعمال المشرفة من نقابيات مناضلات، معلمات، مديرات، جامعات، قاضيات، عضوات في البرلمان وسيدات أعمال.... الخ . ويعكس كل ذلك ما نلخصه عن مسيرتها المطردة إلى الأمام منذ مطلع القرن الماضي في الرصد أدناه⁽³⁾ .

(1) حسن مكى، الثقافة السنارية، المغزى والمضمون، جامعة أفريقيا، مركز البحوث .

(2) حسن محمد صالح وآخرون 2013، السياسات الاستعمارية السالبة ومقاومة أبناء جبال النوبة وجنوب السودان للحكم الأجنبي ، ص 114.

(3) ولمزيد من التفاصيل راجع " نفيسة احمد الأمين 2017، ملامح من الحركة الوطنية النسائية في نصف قرن (47- 1997) .

(أ) في مجال التعليم :

- 1- أسس بابر بدري رائد التعليم الأهلي الحديث عام 1907 أول مدرسة للبنات في مدينة رفاعه .
- 2- افتتحت أول مدرسة حكومية للبنات عام 1911 في رفاعه وفي خمس مدن أخرى في شمال السودان .
- 3- افتتحت أول مدرسة لتدريب الممرضات في عام 1920.
- 4- افتتحت عام 1921 أول مدرسة لتدريب القابلات.
- 5- افتتحت كلية المعلمات عام 1921 بأمر درمان للتدريب في مجال التعليم العام.
- 6- افتتحت عام 1938 أول مدرسة للمختص للبنات ومدتها عامان للتعليم الوسط بأمر درمان .
- 7- افتتحت أول مدرسة وسطى عام 1941 للبنات بأمر درمان .
- 8- افتتحت أول مدرسة ثانوية عام 1945 للبنات في أمر درمان .
- 9- 1948 أسست أول مدرسة أهلية وسطى للبنات في أمر درمان (مدرسة الملوك) .

(ب) في مجال العمل العام والنقابي:

- 1- بدايات هذا التعليم مع محدوديتها أفرزت نساء عملن في حقل التعليم والصحة والعمل الكتابي، ثم العمل المهني بمجالاته المختلفة، وكان هذا من ناحية أخرى، مدخل للعمل النقابي والنضالي المشترك مع الرجل ونماذج ذلك .
- 2- أسست عام 1948 نقابة الممرضين والممرضات .
- 3- أسس اتحاد المعلمات عام 1949 الذي أصبح نقابة المعلمات، وفي عام 1951 التي انضمت في النهاية لنقابة المعلمين في عام 1965، وبذلك شاركت المرأة في العمل الوطني وحررت نفسها كثيرا بالتعليم والتحرير الاقتصادي .

(ج) في الحركة الوطنية :

1- بدأت المقاومة الوطنية للاستعمار عام 1921 عندما أسست جمعية

الاتحاد السوداني بقيادة على عبد اللطيف وكان من نتائجها ثورة 1924.

شاركت المرأة في هذه الثورة بتأمين اجتماعات الثوار في بيوتهن وهنا

برز دور السيدة العازة محمد عبدالله زوجة على عبداللطيف التي صمدت

أمام ما تعرضت له من إرهاب وتكيل وأصبحت نموذجاً لنساء زمانها .

2- بعد إعلان قيام مؤتمر الخريجين عام 1938 شاركت النساء في جمع

التبرعات والتعاطف مع شقائقهن الرجال .

3- نشأت ونشطت الأحزاب السياسية من عام 1941— 1944 وكان نشاطها

محصوراً على الرجال؛ غير أن حزبين أدخلوا النساء في النشاط الظاهر

هما الحزب الجمهوري والحزب الشيوعي ثم الإخوان المسلمون .

4- قام أول تنظيم نسائي باسم حركة الفتيات المثقفات عام 1947 في أم

درمان وأصبح هذا التنظيم نواة الحركة النسائية وقد تم ذلك بمبادرة من

فاطمة طالب، خالده زاهر، ومعهن زروى سرركسيان، زكية مكي، أم

سلمى سعيد، عزيزه مكي، أمه على بدرالدين، زينب الفاتح البدوي وأمنه

حمزه ... وتم التصديق لهن على أنها جمعية ثقافية اجتماعية .

5- أسس الاتحاد النسائي السوداني 1952 وكان قيامه علامة فارقة في نشاط

المرأة وارتباطها بحركة المرأة العالمية .

تم أول اجتماع لهذا الاتحاد في مساء 1952/1/17 بدار السيد مكي عثمان

أزرق حيث لبت الدعوة عشرة نساء تلى ذلك دعوة عامة في 1952/1/31 أمها كثير

من النساء وتم شرح المشروع واختيار اللجنة التمهيدية حيث أصبحت فاطمة طالب

رئيساً وثريا أمبابي سكرتيراً واستقبل الشعب السوداني ميلاد هذا الاتحاد فرحاً راضياً

ومؤيداً . وانفعل الشاعر صديق مدثر مع الحدث وانشد مهنئاً ومحبي :

يا فتاة هجرت طول الرقاد يو م أن قامت تنادى في البلاد

شهد السودان نور الاتحاد فشدنا لحن الحياة الكاملة

(د) أما عن الحركة النسوية في العهد أو (العهود الوطنية) فقد تقلبت حظوظها، لكن ورقم تباين ما حظيت به المرأة في تلك العهود، غير أنها ظلت تحقق الإنجاز وراء الإنجاز ومن ذلك :

- 1- دخلت أول امرأة الجمعية التأسيسية (البرلمان) عام 1965 .
 - 2- تم تحقيق المساواة في الأجور عام 1973.
 - 3- خصصت مقاعد في البرلمان للمرأة بنسبة أتفق عليها .
 - 4- تقلد المناصب العليا في الوزارات والإدارات العليا وفي المؤسسات الحكومية والجامعات .
 - 5- إصدار المجلات النسائية الخاصة منها (مجلة المنار والقافلة، مجلة حواء الجديدة، مجلة نساء السودان، مجلة مهيرة ومجلة أسرتي) .
 - 6- شارك في المؤتمرات العالمية .
 - 7- تم تأهيل الكثيرات في الدراسات الجامعية وغيرها .
 - 8- تتبوأ المرأة مكانتها اللائقة بجانب شقيقها الرجل وتتصدر المحافل واثقة غير هيابة ودون عوائق .
 - 9- وأخيراً حققت النساء السودانيات، حفيدات الكنداكات صيتا عاليا لمواقفهن المقدمة والفاعلة في اقتلاع نظام الإنقاذ وطارت مفردة " كنداكة " لتغطي الفضاءات العالمية إشارة لأولئك الكنداكات كما تطلع الكثيرون لمعرفة جذور الكلمة ومعناها وذلك ما جعلنا نقدم هذه الدراسة.
- وإن كنا قد أنصفنا المرأة السودانية في كل ما قلنا وسنقول لاحقا فلا بد أن ننصف شقيقها الرجل السوداني الذي عُرف بإكرامه للنساء عموما من ذواتي القربى وغيرهن، والذي ظل عبر تاريخه يهيئ للمرأة ما يعزز تقدمها وقيمتها.
- وتتجلى هذه الحقيقة اذا نظرنا في صفحات تاريخ الأمم القديمة التي عاصرت المرويين. أي السودانيين القدماء — حيث كانت المرأة عند تلك الأمم لا تعامل بما يرضي إنسانيتها أو كرامتها. وعلى سبيل المثال فقد كان الإغريق ينظرون إليها كمتاع وربما يعرضونها في السوق للبيع. لقد كان ذلك من حق الزوج على زوجته بجانب اعتقادهم أن المصائب والفشل في الآمال والعيش يعود كل ذلك إليها ولرفع المصائب

كانوا يقدمون بناتهم قربانا للآلهة. أما الرومان فقد كانوا يعتبرونها أداة للإغواء ووسيلة للخداع وإفساد قلوب الرجال وإن الشيطان يستغلها في ذلك. ومن جانبهم كان الفرس الزرادشتيون ينظرون إليها على أنها من أسباب هيجان الشرور وكان من حق الزوج قتلها . ومما عرف أن العرب في الجاهلية أجازوا وأد البنات الصغيرات خوف الفقر والعار الذي تجلبه البنات⁽¹⁾

وبالرغم مما ذكرنا عن حظوظ النساء في العالم القديم المعاصر لازدهار مملكة مروي في السودان فقد برزت في أزمته وأماكن مختلفة متباعدة نساء عظيمات قمن بأدوار تعتبر من حظوظ الرجال حتشبسوت في مصر (القرن السادس عشر قبل الميلاد) حيث ارتقت لمنصب الفرعون وبلقيس في اليمن (القرن العاشر قبل الميلاد) (والزباء زنوبيا 261-272) في تدمر، وكل ذلك لا يقارن بما حقته المرأة في السودان القديم على مدى ألف عام متصلة كما سنرى علما بأنه كان لأولئك النساء وبخاصة " الكنداكات " أدوار عظيمة في استقرار الملك، مع مشاركتهن الفاعلة في إرساء نظام وراثة الملك وفي إدارة المملكة وازدهارها وملكات متوجات في بعض الفترات .

مملكة مروي والمرويون :

ومملكة مروي برز فيها دور الكنداكات المتعاضم، تنسب لعاصمتها "مروي" القديمة وهي غير مروي الحديثة حيث تقع آثار تلك المدينة التاريخية في منطقة البجراوية إلى الشمال قليلا من مدينة شندي ومعلوم أن الآراء مازالت متضاربة أو مختلفة عن حقيقة تلك العاصمة بين من يقولون أن إدارة المملكة انتقلت إليها من نبتة في الشمال في حوالي القرن الرابع قبل الميلاد (310 ق. م)⁽²⁾ ومن يقولون إن الانتقال المزعوم تم بعد عام 591 ق . م⁽³⁾ تاريخ غزو الفرعون المصري بسماتيك

(1) أبو النصر مبشر الطرازي، 1977م، المرأة وحقوقها في الإسلام، القاهرة، ص 9-16.

(1) Reisner , G.A. 1919, Historical Inscriptions from Gebal Barkel, SNR, 4. PP 59-74.

(2) Arkell, A.J. 1955, "Egyptian in Invasion on The Sudan in 591 B.C, Kush 3.

لنبتة وتخریبها، ومن يقولون إن عاصمة المملكة كانت في مروى منذ البداية وأن بعانخي خرج منها ليعزو مصر في عام 730 ق. م⁽¹⁾. وأن نبتة في منطقة كريمة ظلت عاصمة المملكة الدينية كل ذلك بينما بقيت العاصمة الإدارية إلى الجنوب منها في مروى. وبهذا تفهم إشارتنا لمملكة مروى لتشمل كل الفترة الزمنية الممتدة بين عام 760 ق.م تاريخ ظهور المملكة المتوسعة والعالم 350 م تاريخ نهاية عمرها المديد. وهذا أيضا يبرر متابعتنا للجذور الأولى للمكانة المتقدمة التي حققتها نساء البلاط الملكي قبل ظهور لقب كنداكة في جنوب المملكة، كما إن تطور مكانة الكنداكات في النصف الأخير من عمر المملكة لا يفهم إلا بالرجوع لتلك الجذور الأولى التي تعود لعهد الملك كاشتا (كوشتو) (760 ق.م) والد بعانخي .

وإن اعتمدنا اسم العاصمة اسما للملكة فإن ذلك معمول به حتى وقتنا هذا بالنسبة لبعض الأقطار الحديثة فالجزائر مثلا هو اسم العاصمة واسم القطر وبه تعرف الجنسية الجزائرية... وهذا ما يجعلنا نقف قليلا عند الأسماء عديدة عرفت بها البلاد بالنسبة للعالم الخارجي في الأزمنة المختلفة ومنها الاسم " كوش " وهو اسم قديم منذ عهد المملكة المصرية القديمة⁽²⁾ كما تردد الاسم على أيام الأشوريين في القرن السابع قبل الميلاد بينما فضل الكتاب الإغريق إطلاق الاسم " أثيوبين " و " أثيوبيا " على السكان والبلاد التي تقع جنوب مصر . وأثيوبيا في لغتهم تعنى بلاد السود — أي السودان — وقد أعتمد علماء الآثار، الأوربيون الأوائل التسمية الإغريقية في تعاملهم مع آثار السودان القديم ثم تحول بعضهم للاسم نوبيا والنوبيين. ونلفت النظر هنا إلى أن اسم كوش ارتبط في البداية باسم ما يعرف اليوم بمملكة كرمه التي سادت في رقعة واسعة من شمال السودان في الفترة من (2500 – 1450) ق.م وإن الكثير من الدارسين استخدموا وما يزالون اسم مملكة كرمه في مؤلفاتهم بدلا عن الاسم الحقيقي والتاريخي " كوش " فلا غضاضة في إطلاق صفة المروية على الحقبة الطويلة التي ظلت فيها مدينة مروى القديمة عاصمة إدارية للبلاد .

(3) Hakim, A.M.A 1975 " The city of Meroe and the myth of Napata"ABAB"pp. 120-131

(2) عبدالقادر محمود، 2017، السودان القديم كما وثقته الأدلة النصية والقديمة، ج 1، ص 51؟

وعن نشأة وازدهار هذه المملكة تدلنا الآثار وتحدثنا المصادر عن حقيقة إمبراطورية شمال السودان، حتى منطقة كريمة على الأقل ظل خاضعا لهيمنة فراغة المصرية قرابة الخمسة قرون (1450 – 1080 ق.م) بعد اجتياحهم لمملكة كريمة (كوش الأولى).

وبعد أن انحلت الإمبراطورية المصرية ترك السودان لأهله، وسكتت المصادر الخارجية عما كان يدور فيه قرابة القرنين لانعرف فيها الكثير عما كان يجري فيه، لكن آثار مدافن مقبرة الكرو الملكية التي دفن فيها بعانخي بعد ستة أجيال من أسلافه العظام أنبأت أن سلطة محلية ورثت النفوذ المصري في السودان وظلت تنمو بعيداً عن أعين العالم الخارجي، وإن أفرادها كانوا شديدي التدين على عقيدة أمون⁽¹⁾.

وكانت من أول إرهابات قيام مملكة كوش (نبتة - مروي) (760 ق.م - 350 م) وأول الشواهد الدالة على تنامي وتعاضد قوتها فرضها نوعاً من السيادة على مصر العليا (جنوب مصر) أن الملك كوشتو فرض على شبنوبت ابنة ملك مصر أوسركون الثالث تبني ابنته (امنرديس) لتخلفها في منصب العائدة الإلهية زوجة الإله أمون في طيبة، وهو منصب يعادل منصب مساعد كبير الكهنة في طيبة وقد كان لأولئك الكهنة سطوة كبيرة علي حكام مصر الفرعنة ونعلم إن قوة بعضهم تنامت في عصر الإمبراطورية المصرية فأصبحوا فراغة حكاماً.

وبعد قراءة لوحة نصر بعانخي⁽²⁾ المكتوبة بالهيريوغليفية المصرية تبين أن والده كاشتا كان قد حقق فعلاً نفوذاً على صعيد مصر ووسطها وإن أمراء من الدلتا حاولوا طرد الوجود الكوشي هناك مما حدا بالملك بعانخي لغزو مصر وإخضاعها لسلطانه في 730 ق.م حيث ورث الحكم فيها من خلفائه شبكو وسبتكو وتهارقو ليتراجع الكوشيون إلى بلادهم في 664 ق.م، وذلك بسبب الغزو الأشوري لمصر ولم يعودوا يتطلعون إلى الزعامة هناك واكتفوا بتأسيس حكم قوي مستقر في بلادهم مركزه عاصمتهم مروي ودام ذلك الملك لأكثر من ألف عام متصلة.

(1) عمر حاج الزاكي، 2008، مملكة مروي - التاريخ والحضارة، ط 2، مطابع الصلحاني، سوريا، ص 35.

(2) Reisner , G.A. 1919, Op.cit., PP 59-74.

ونسبة لموقعهم في الجزء الجنوبي من مثلث الحضارات القديمة وفي الشرق الأدنى وبحكم مجاورتهم لمصر لم يبق المرويون في عزلة تامة عما كان يجري حولهم ولم يسلموا من غزوات وأطماع المصريين والفرس والإغريق (البطالمة) والرومان وجيرانهم من جهة الشرق في مملكة أكسوم وهجرات السكان من شرق السودان وغربه البعيدين عن النيل ومن الهجرات الوافدة من أقطار أفريقيا مما أدى لضعف وانحلال المملكة في النصف الأول من القرن الرابع الميلادي .

أسطورة الجد الأرا (ارولي وتوريث الملك ...)

راجت بين الكوشيين أسطورة آمنوا بها تقول أن الزعيم الأرا يقرأ (أرولي) حسب قراءة بروفسير عبدالقادر محمود عبدالله عالم الدراسات السودانية المصرية القديمة ويرجح أن أرولي (الارا) كان أخا لكوشتو وملك قبله ⁽¹⁾ وهو أو أحد الأجداد الأوائل المؤسسين لمملكة كوش (نبتة - مروى) وأنه أوكّل أخواته للإله آمون، كبير آلهتهم التي آمنوا بها وكانت أحدهن جدة الملك تهارقو وطلب منه أن يحصر وراثته الملك في نسل حفيداتها أبدا الأبدية، وإن يجعلهم مشهورين وموفقين. فأستجاب الإله لتضرعات الزعيم الأرا، ولم تأت استجابة الإله في هذا الأمر قاصرة على أبناء أخوات الأرا وحدهن وإنما شملت أحفادهن (لوحة تهارقو Inscr.6) ⁽²⁾ . لذا أسست هذه الأسطورة للنظام الأمومي* في وراثته عرش الكوشيين. وجاءت أول إشارة لهذه الأسطورة التي تكشف عن جذور التقديس الذي حظيت به النساء الملكيات في إحدى لوحات الملك تهارقو في معبده في (جماتون) ⁽³⁾ .

ويتأكد هذا المعنى بعد قرنين من زمن أرولي وبعد سبعين عاما تقريبا حينما احتدم الخلاف حول تولى الملك اسبلتا (593 - 578 ق.م) لعرش المملكة فعمد إلى

(1) عبدالقادر محمود ، 2017م، مصدر سابق، ص 73-74.

(2) Macadam, M.Fl, 1949, The Temples of Kawa Vol., 1. The inscriptions, London, Inscr. 6.

*وهو نظام توريث عرف عند الشعوب الحامية وهو توريث ابن الأخت أو ابن البنت .

(3) Macadam, Op.cit, P. 6.23

ذكر نسل أمهاته لسبعة أجيال متعاقبة نسب ينتهي بالجدة الأولى التي تمت مباركتها في زمن الزعيم أرولي⁽¹⁾..

وبجانب وراثة العرش التي أسست لها أسطورة الجد أرولي كشفت النصوص الكوشية ما خصصت به بعض الأميرات من الأسر المالكة من أدوار، وما أثبت لهن من حقوق في المعابد . ورد ذلك فيما تضمنته لوحات تنسب للملك الكوشي أنلماي(623 – 593 ق.م). وخليفته الملك أسبلتا (553 – 568 ق.م). وقد جاء في لوحة الملك أنلماي انه وهب أو وظف أخواته الأربعة لمعابد آمون الشمالية – معبد آمون نبتة ومعبد آمون جماتون ومعبد آمون تور تاسيتي. وكان ذلك من أجل أن يعزفن الموسيقى الدينية أمام آلهة تلك الجهات، ويصلين كل يوم من أجل حياة ورفاهية أخيهن الملك⁽²⁾. وبالرغم من أن النص المذكور لم يحدد مكانة أيا من الأخوات الملكيات في سلم الكهانة وما إذا كانت أي منهن قد تبوأرت مرتبة كاهنة على الإطلاق غير إن الملك إسبلتا خليفة أنلماي أورد في لوحة له⁽³⁾. إن سلفه أنلماي سبق أن عين الأميرة (ناسلسا) كاهنة في معبد آمون تور تاسيتي .

وترك الملك أسبلتا لوحة أخرى عرفت باسم لوحة الوقف⁽⁴⁾. وهي عبارة عن وثيقة الزام لمعبد " آمون تور تاسيتي " في صنم يقدم بمقتضاها جارية يومية من الخبز والجة ويقدم عددا من الثيران في المناسبات للزوجة الأخت الملكية " مكن " والأبنة " خبت " ولوحظ في نصوص اللوحات الملكية، وبخاصة لوحات تتويج الملوك إن ألقابا رفيعة مثل لقب " سيدة مصر " و " سيدة كوش " و " سيدة تاسيتي " و "سيدة " ألحقت ببعض النساء الملكيات، بالإضافة لذلك أن السيدة " ناسلسا " أم الملكين أنلماي وأسبلتا حملت لقب مثل لقب " أبن رع "، وفي اعتقادنا أن هذه الألقاب كانت تشريفية مثلها مثل لقب " سيدة أمريكا الأولى " نقول بذلك لعدم وجود أي أدلة علي تولي أيا من حاملات هذه الألقاب للسلطة بمثل ما تحقق لحفيداتهن بعد حلول القرن

(⁴) المصدر السابق، 20-23، Inscr. 6.

(²) المصدر السابق، 24، Inscr. 9.

(³) Ded.st.10

(⁴) نفس المصدر السابق.

الثالث قبل الميلاد. ويلاحظ أن لقب كنداكة لم يرد في أي من تلك النصوص المكتوبة بالهيروغليفية المصرية .

ولعل معرفة المصريين منذ القرن الثامن قبل الميلاد بمدى الإجلال الذي يكنه الكوشيون للنساء الملكيات كان دافعا وراء إيفاد الأمير المصري نملوت لزوجته وابنته كي يتوسطن ويشفعن له لدى الملك الكوشي بعانخي، عندما ضيق الأخير الحصار عليه في مدينة هرموبولس، وأخالني أسمع مستشاري نملوت وبعد أن أرهقت المدينة بالحصار، يهمسون في أذنه (أن ارسل كريمتك وأمها سفيرتي سلام وتسليم، وقد عرف عن هؤلاء الغزاة معزة الأمهات والزوجات والكريمات والأخوات الملكيات وأنهم لا يردون لهن طلباً) . وما يؤيد تصورنا هذا أن نساء نملوت لم يتوسطن لدى الملك بعانخي مباشرة وإنما توسطن لدى زوجاته وأخواته⁽¹⁾ فجاء عفو بعانخي استجابة لتلك الوساطة رغم حنقه الشديد على نملوت ورفضه لوساطات أخرى سابقة لم تشارك فيها النساء الملكيات .

هذا ما يمكن استخلاصه من النصوص المقروءة عن فترة القرون الأربعة الأولى من عمر المملكة؛ فماذا عن المشاهد المصورة (المنقوشة) على لوحات تتويج الملوك والمعابد عن تلك الفترة ؟

4- في المشاهد المصورة :

إن الدارس لمنابر اللوحات الملكية خاصة لوحات تتويج الملوك، يلاحظ أن صورة الأم أو الزوجة أو الأخت أو الابنة الملكية أخذت موقعها دائما خلف صورة الملك المتوج وغالبا ما ألحقت بصاحبة الصورة القاب تدل على سمو المكانة. يشاهد ذلك المنظر في لوحة الملوك تانوتامني واسبلتا وحرسيوثف ونستاسين⁽²⁾

وفي كل المشاهد المشار إليها تشابهت أدوار كل أوليك السيدات الملكيات تقريبا . وكانت الصورة الغالبة لكل واحدة منهن هي عزف الموسيقى الدينية بيد وصب قربان اللبن باليد الأخرى. ونرجح أن الحرص على تصوير أوليك السيدات في مشاهد لوحات تتويج الملوك قصد به تأكيد شرعية اختيار الملك المستمدة من مباركة حفيدات الزعيم

(1) عمر حاج الزاكي، الإله آمون في مملكة مرو، مطبوعات جامعة الخرطوم، 1983، ص34.

(2) Tanut.st.Inscr.8, Elect.st, Hars.st.Nast.Mac.Inscr.6,

الآراء، كما قصد به أيضا الرمز لاشتراكهن الفعلي في طقوس تتويج الملوك الذي أخبرت عنه لوحات الملوك تهارقو وأنلماني وأمون نوتي يركي، حيث دعا كل واحد منهم الأم الملكية لتشارك في مراسم تتويجه⁽¹⁾.

ولم يقتصر ظهور النساء الملكيات خلف الملوك في مشاهد لوحات التتويج وحدها، بل ظهرت صورهن في معية الملوك في مشاهد نقشت على جدران المعابد وفي أقدم أجزاءها وأكثرها خصوصية، وقد بقيت تلك المشاهد في المعابد الرئيسية في البركل والكوة وصنم أبودوم . كما أن تكرار ظهور الأميرات الملكيات على جدار محراب اسبلتا في معبد صنم ابودوم يؤكد العناية والمكانة الرفيعة التي حظيت بها أوليك الأميرات منهن: مكن أخت اسبلتا، ومثلها أخوات أخيه الملك أنلماني .

5- تطورات القرن الثالث قبل الميلاد :

كان من أبرز التطورات العديدة في القرن الثالث قبل الميلاد، أي بعد خمسة قرون تقريبا من نشأة المملكة في العام 760 ق.م انتقال دفن ملوك كوش من مقبرة نوري في شمال المملكة إلى مقبرة البجراوية (مروي القديمة) مع تغير أساس في واحدة من عادات الدفن، حيث كانت أهرامات النساء الملكيات محصورة في جانب من المقبرة ليصبح الدفن في البجراوية مختلطاً، ومعلوم إن بعانخي كان قد ابتدع عادة دفن نسائه في جزء منفصل عن مدافن الملوك في مقبرة الكرو الملكية، ومن ثم استمر هذا التقليد في جبانة نوري الملكية، حتى امتلأت تلك الجبانة. لقد بات من الصعب معرفة ما وراء تلك الظاهرة التي استنتها الملك بعانخي وسار عليها خلفاؤه لقرون عديدة بعده رغم إجلال أولئك الملوك لزوجاتهم وأمهاتهم، ونرى في هذا التغيير في عادات الدفن انعكاسا لتسامي مكانة النساء الملكيات وتقدمهن نحو الصدارة في المملكة. ويتأكد ذلك من بعض الشواهد النصية والأثرية وظهور (الكنداكات) موضوع بحسنا هذا .

ويبدو أن أول ملكة تبوأ الملك هي " برتاري " (280 ق م) المدفونة في الهرم العاشر في مقبرة البجراوية الجنوبية، وإن اعترض وينج على القول بتولي " برتاري "

(¹) (راجع Mac.6,16-20,Inscr.8:23,Inscr.9:81-84)

للعرش بحجة صغر عرشها، لكن لوحظ أن عرش الملكة " امانى رينس " لم يكن أكبر حجماً⁽¹⁾ . وبعد برتاري بقرن تقريبا جلست الملكة شنادختي على عرش المملكة أيضاً، وما أن حل القرن الأول قبل الميلاد حتى تعاقب على الصدارة عدد من النساء الشهيرات اللاتي تركن بصماتهن في مسار المملكة، وتحقق لبعضهن " امانى رينس " و " امانى شاخيتي " وربما " امانى توري " الجلوس على عرش المملكة وبعدهن لم يعد من الممكن تتبع دور ومكانة النساء الملكيات لشح المصادر .

6- الكنداكاة لقب عظيمات مروي :

بعد أن قرنت الكتابة المروية (نسبة لمدينة مروي عاصمة المملكة) وعرفت معاني كثير من مفردات تلك الكتابة وقواعدها بفضل الجهود المتضافرة التي توجت بما وصل إليه عالم اللغات قريفت وما تواصل بعده من جهود قرنت أسماء بعض النساء الملكيات مقرونة بلقبين - اللقب " كور " ولقب آخر كتب بطرق مختلفة ولكنها متقاربة اميزها " كت كي " و " كدكي "، وهناك إجماع بأن اللقب الأول "كور" يعنى ملك. وبهذا المعنى كان هذا اللقب معروفا لدى المصريين منذ عام 591 ق.م حينما اطلقه الفرعون المصري بسماتيك على الملك الكوشى اسبلتا⁽²⁾ . أما اللقب الثاني فقد ورد بصيغ مختلفة في المصادر الخارجية. كتبه المصريون " كلكي "⁽³⁾ أو " كنتكي "⁽⁴⁾ في الهيروغليفية و " كندكي " في كتب الكتاب الكلاسيكيين و " كنديسى " في اللغات الأوروبية الحديثة و " كنداكاة " في اللغة العربية كما نطقه في يومنا هذا . وفي النصوص المكتشفة التي وقف عليها الكاتب وهي سبعة مرات نوردها بالثلاثة طرق التي كتبت بها وهي :

1- امانى رينس كور كدكي (Kawa:28) وتعنى الملكة الكنداكاة امانى رينس

2- امانى رينس كورلي كدولي (AK.1/1) وتعنى الملكة الكنداكاة امانى رينس

(¹) Dunham, D. 1963, The Royal Cemeteries of Kush, Vol, 5, West and south cemeteries at Meroe, Boston

(2) Arkell 1955 :93-96

(1) Dunham, D., 1957, The Royal Cemeteries of Kush, Vol, 4, Royal Tombs at Barkal and Meroe . Poston.

(2) Griffith, F., L, 1911, Meiotic Inscription, Part 1, London,

- 3- امانى شاخيتو كوري كدونى (Mer.12C) وتعنى الملكة الكنداكة امانى شاخيتو
- 4- امانى رينس كدى (Mer.12C) وتعنى الكنداكه امانى رينس
- 5- امانى رينس كدى (Ibr.92/3) وتعنى الكنداكة امانى رينس
- 6- امانى تورى كت كي (Ins. 4) وتعنى الكنداكة امانى تورى
- 7- ميريرى كت كى (A.W.2/4) وتعنى الكنداكة ميريرى

وإن تباينت الطرق التي كتب بها ونطق بها هذا اللقب في شتى اللغات وفي لغة القوم أنفسهم، فكَذلك تباينت الآراء حول مدلوله ومعناه فبينما عده بعضهم لفظة "كنداكة" اسما فان آخرين قالوا بانها لقب. وبين الكتاب الكلاسيكيين الأوائل الذين خاضوا في أمر المعنى بايون الصولي ويؤرخ له بالقرن الثالث قبل الميلاد الذى قال: إن لفظة كنداكة لقب يطلق على أم الملك، ومن رواية استربو⁽¹⁾ عن الحرب الرومانية المروية في الربع الخير من القرن الأول قبل الميلاد يفهم أن استعمال الكلمة جاء في الإشارة إلى اسم الملكة المروية في ذلك الوقت، وتبعه في هذا المؤرخ بلىنى⁽²⁾ ودايوكاسيوس⁽³⁾ وزاد بلىنى عن الآخرين بزعمه أن هذا الاسم أطلق على عدد من الملكات اللاتي تعاقبن على حكم مروي. وفي ذلك كأنى به يقارن بين ماجرت عليه العادة في مصر البطلمية حيث اطلقت أسماء بطليموس وكيلوبترا على عدد من الملوك والملكات .

وفي رأينا ومن سياق محتويات هذه النصوص التي تكررت فيها هذه الكلمة وبعض الشواهد من الآثار يمكن استنتاج الآتي:

أولاً : إن لفظة كنداكة ليست اسما كما زعم بلىنى لوجود اسم حاملة اللقب في كل مرة ثانياً: إن لفظة كنداكة لا تعنى الملك أو الملكة لأن كلمة "كور" وهى تعنى قطعاً (ملك أو ملكة) اطلقت على الكنداكات امانى رينس وامانى شاخيتى بعد لقب الملك (كور) .

(3) Strabo, 1907. The Geography of Strabo. 17:5

(2) Pliny, 1938, Natural History .

(3) DioCassius 1961, Roman History

ثالثاً: لم يلحق هذا اللقب في كتابات المرويين بغير النساء الملكيات، وهذا يجعلنا نخلص إلى أن كلمة كنداكَة كانت أحد ألقاب أو صفات عظيمات المملكة .

رابعاً: تتأكد حقيقة المكانة العظيمة لحاملات اللقب أنه كان ثاني القاب المرويين أهمية بعد اللقب "كور" (ملك) ⁽¹⁾.

خامساً: وأن حملت بعض " الكنداكات " لقب " كور " – امانى رينس، و امانى شاخيتو (الدال على جلوسهن على العرش فان ذلك لا يعنى أن كل حاملات اللقب "كنداكَة" بلغن قمة السلطة وانفرن بالحكم، وكما لاحظ قريفت أن صور الملوك من الرجال برزت في المعابد والأهرامات أكثر من صور النساء وحينما يجمع مشهد واحد بين صورتى ملك وكنداكَة كانت صورة الملك تتقدم صورة الكنداكَة ⁽²⁾. وملاحظتنا فيما قال به قريفت يصدق في معظم الحالات، ماعدا المشهد المنقوش على جدار واجهة معبد الأسد في النقعة حيث تبدو صورة الكنداكَة أمانى تورى موازية في البروز لصورة الملك نتكامنى .

ولاحظ مكادم ⁽³⁾ إن الشأو الذى بلغته الكنداكات مؤخراً لا يمكن فصله عن ما سبق أن كسبته النساء الملكيات وبخاصة الأم والزوجة في صدر الدولة المروية . وقد رأى مكادم إن السيدات الملكيات ظلن يحتفظن بمكانتهن على مر القرون، بسبب دورهن الإيجابي في تحديد وراثته الملك حسب الأعراف والتقاليد الدينية المروية . ورجح أن يكون لقب كنداكَة موازيا للقب " أم الملك " الذى عرف في النصوص الملكية الأولى. وبتحديد أدق بات لقب كنداكَة يطلق على أم الملك القائم أو على التي يرجى لها أن تتجب ملكا . وقد رأى مكادم في ظاهرة المبالغة في تضخيم عجز الكنداكات عند تصويرهن رمزا للخصوبة المرجوة والضرورية لإنجاب الملك القادم ⁽⁴⁾نتفق مع مكادم فيما ذهب إليه في تعريفه للقب "كنداكَة" ومن ناحية أخرى تجد ملاحظته القبول لأن ضخامة العجز والصدر مازالت من مقاييس الجمال ودلائل الإنجاب لدى سكان

(1) Zaki , O.H. 1975, Seniority and Significance of some late Merotic titles (Unpub. M.A. thesis), Khartoum University

(1) Griffith, N.F.L. Queen Nawidemak, Alen Memorial art Museum Bulletin, Vol, 23, P. 42-71 (Ohio).

(2) Macadam 1966,46

(3) Macadam 1966n.13

السودان النيلي، وكثيراً ما تلجأ الأمهات لتسمين كريماتهن المقبلات على الزواج وبعد كل ولادة لتحقيق تلك الغاية⁽¹⁾

وإذا بتنا في يقين من أمر معنى اللقب وعلمنا إن حاملته كن من عظيمات مروي – زوجات أو أمهات الملوك – فقد بقي لنا أن نسأل عن حقيقة تولى بعض أولئك النساء للسلطة الفعلية أو المشاركة فيها، الأمر الذي لم يتم لأسلافهن الأوائل وفي ذلك نورد أولاً الشواهد الدالة على تمكن بعضهن على الجلوس على عرش المملكة فعلاً والشواهد هي :

أولاً : إن كلا من الكنداكتين "أمانى شاخيتو" و "أمانى رينس" حملت اللقب "كور"، الدال على الملك .

ثانياً : ومثل عظماء الملوك المرويين، خلافاً لما عرف عن نساء البلاط السابقات فإن كلا من الملكتين آنفتى الذكر تركت لوحة ملكية نقشت بالحروف المروية تمجيداً أو تخليداً لعمل قامت به.

ثالثاً : إن الملكة شنادخيتو قامت ببناء معبد في النقعة⁽²⁾ والمعروف إن بناء المعابد كان من أخص خصائص الملوك، الذين كثيراً ما زعموا إن "آمون" اختار من اختاره للملك من أجل أن يبني المعابد ويصونها.

رابعاً : الحضور اللافت للكنداكة أمانى توري بالرقم من أنها لم تحمل اللقب "كور" الدال على الملك وهي في معية الملك "نتكامانى" الذى اختلفت الآراء حول علاقته بها فمن قائل أنها زوجة الملك ومن يعتقد أنها كانت أمه⁽³⁾ وأما عن الملك نتكامنى فيلاحظ أن نشاطاته البنائية و الإصلاحية فى محوري المملكة الشمالي والجنوبى . وأبرز مظاهر مشاركات الكنداكة أمانى توري له تنعكس في آثار معبدي النقعة (N.100,300) وعلى واجهة برج المعبد الأول الشمالية نقش صورة كبيرة لها وهي تقضى على الأسرى مثلها مثل الملك المصور على واجهة البرج الجنوبية. ولولا ما

(²) راجع: عمر حاج الزاكي 1983 ص 122 .

(¹) Hintze 1959 Preliminary Report of the Butana Expedition 1958, Kush, 7, pp. 71-96.

(³) Haycock. B.G. 1965 The kingship of Cush in The Sudan CSSR, 7, pp461 -80.

ظهر من تقدم صورة الملك نتكامنى على صورها في مناظر الجدران الخارجية للمعبد لصعب تقديم أحدها على الآخر في الأهمية . أما في المعبد (N.100) فتظهر صور أمانى توري مرافقة لصور الملك في المشاهد الكثيرة التي نقشت على مداخل وأعمدة هذا المعبد ومعلوم أن مثل هذه المشاهد التي ترمز لاستقبال ومصاحبة الإله للملك في مسيرته من بوابة المعبد حتى قدس الأقداس في معابد الكوة والبركل قاصرة على صور الملك والإله وحدهما .

خامسا: وأخيرا لا نجد تعليلا لظاهرة التخلي عن عادة الدفن القديمة التي اقتضت فصل مدافن النساء عن مدافن الملوك – إلا فيما تحقق للنساء الملكيات من مكانة تمكن بفضلها من الجلوس على عرش المملكة . وهذا بدوره يدفعنا للقول بأن كل النساء اللاتي دفن في المقبرتين الجنوبية والشمالية في البجراوية ربما كن ملكات أو مشاركات في الملك . وإذا جاز ذلك فإن الأمر يقتضى مراجعة وتعديل قائمة ملوك وملكات مروى لتشمل كل النساء اللاتي دفن في المقبرتين الملكيتين !!!

7-الصعود إلى عرش المملكة :

وننتقل بعد هذا إلي البحث عن الأسباب والكيفية التي أدت لتصاعد أدوار بعض النساء الملكيات، حتى تمكن من الجلوس على عرش المملكة أو المشاركة في الحكم .

لقد ذهب الباحثون في ذلك مذاهب شتى . وعزى ديزانجر⁽¹⁾ ظاهرة حكم النساء في مروى لضعف التأثير المصري وتغلب عادات الحكم المحلية عند انتقال العاصمة من نبته في الشمال إلى مروى في جنوب المملكة في نهاية القرن الرابع قبل الميلاد . ووجد ديزانجر تأييدا لرأيه هذا فيما أورده بعض الكتاب الكلاسيكيين من أن قوما يعرفون بـ "السمبرايث " يقطنون جنوب مروى كانوا يخضعون لحكم النساء . إن ربط ديزانجر بين تغلب العادات المحلية في منطقة مروى وانتقال العاصمة إلى الجنوب قد يبدو وجيها، لكن لعلمنا أن العاصمة لم تنتقل إلى مروى في التاريخ الذى أشار إليه وان الملوك الرجال ظلوا يتعاقبون على عرش المملكة بالرغم من صعود بعض النساء للعرش في ذات الوقت وهذا يضعف ما علل به ديزانجر من أسباب ما وصل إليه من نتائج مع علمنا بالمكانة المرموقة لنساء البلاط ومنذ قيام المملكة وقبل الانتقال

(1). Desanges. R.A. 1968, BIFO, pp. 89-101.

المزعوم لعاصمة المملكة إلى مروي. وفي البحث عن المؤثرات التي أدت لتطور وتعاضل مكانة النساء الملكيات في مروي في القرن الثالث قبل الميلاد ذهب وينج⁽¹⁾ بعيدا حينما عزا أمر ذلك لتأثر المرويين بصعود حتشبسوت على عرش الفرعون في مصر. أن الشقة الزمنية بين الظاهرتين في مصر ومروي كبيرة جدا (أكثر من ألف عام) وكان حري بها أن تظهر في القرون الأولى من قيام المملكة (750 – 592 ق. م) حينما كان التأثير الحضاري المصري على المرويين في أوج عنفوانه.

وبين الذين بحثوا عن تعليل لتلك الظاهرة د. هيوك⁽²⁾ (الذي أرجعها لعاملين أحدهما ذاتي داخلي وثانيهما خارجي). وأرجع العامل الداخلي للتطور الطبيعي في مكانة المرأة الرفيعة التي عرفت بها في صدر الدولة المروية، خاصة ارتباطها بنظام الحكم وتحديد الوراثة فيه. ومن ناحية أخرى عزا صعود بعض النساء للعرش مؤخرا للتأثير بما يجري في مصر البطلمية وقتها حيث بدأت أخوات وأمهات الملوك البطالمة، حكام مصر، يمارسن أدوارا مؤثرة في أمور الحكم بلغت أوجها في عهد الملكة كيلوباترا السابعة (48 – 30 ق. م). وفي ذلك تجدنا نتفق مع هيوك ولا نستبعد التأثير الداخلي بجانب التأثير الخارجي وهذا ما سنورده في مجمل رأينا عن ظاهرة تعاضل مكانة النساء الملكيات بعد القرن الثالث قبل الميلاد.

الملكات والمجموعات الأسرية :

من الواضح أننا لا نملك من الأدلة ما يمكن من الوصول إلى إجابة ناجزة عن الكيفية التي صعدت بها (برتاري 260 – 250 ق. م) أول امرأة مروية لسدة الحكم في المملكة. ولربما كان ذلك نتيجة لصدف جعلت منها وصية على عرش ابن أو أخ قاصر أو نتيجة لغياب وريث مستوف للمعايير الوراثية الشرعية التي حددتها الأعراف والتقاليد الدينية والأساطير وبجانب الملكة برتاري دفنت في مقبرة البجراوية الجنوبية سيدتان أخريات هما الملكة "كنرت - سر...ن" والملكة "هننوا" ولا نرى ما يمنع من القول بأنهما بلغن من السلطان ما بلغته الملك برتاري. وبعد ذلك تعاقب على عرش المملكة عدد من الملوك الرجال، ولم تتوفر أي أدلة أخرى على تعاضل دور إي من النساء، إلا في بداية القرن الثاني قبل الميلاد حينما تبوأ عرش المملكة "شنادختي

Wenig, S. 1968, Africa in Antiquity (1)

Haycock 1965, :477(2)

" وبقيت على مقصورة هرمها (Beg.N.11) صورة لشخص يافع يرجح انه ابن أو أخ قاصر قامت شنادختي وصية على عرشه .

أما في القرن الأول قبل الميلاد فقد تصاعد نجم نساء البلاط بصورة لم يسبق لها مثيل في التاريخ المروى . وقد وافق ذلك ظهور ثلاثة مجموعات أسرية بدا فيها وكأن أفراد كل مجموعة توجهوا ملوكا ليشاركوا في أمور الحكم و أداء الشعائر الدينية أمام آلهة المعابد . المجموعة الأولى ضمت الملك ترتقاس والملكة الكنداكة امانى رينس و " البكر " (الأمير اكنداد) . والمجموعة الثانية ضمت الملكة الكنداكة امانى شاخيتو والأمير اكنداد وامانى خبلى .¹ أما المجموعة الثالثة فقد ضمت الملك نتكامنى والكنداكة امانى تورى والأمراء أريكننانى وأريكانخور وشروكور . وأخيراً ورد اسم "البكر" (الأمير) في هرم البركل السادس مع الملكة (؟) نويديماك⁽²⁾ وعثر هنتزا في مجموعة فرلينى الأثرية على خاتم ملكي نقشته عليه صورة ملك وملكة يرفعان طفلاً، وقد استدل بذلك على تنامي الشعور الأسرى لدى ملوك المرويين . وما يؤكد ما ذهب إليه هنتزا ملاحظتنا أن المشاهد المنقوشة على جدران المعابد التي تعود للقرن الأول قبل الميلاد باتت تضم بجانب صور الملك صوراً للزوجة أو الأم ولالأبناء . وبينما تأكد أن اثنين على الأقل من كنداكات القرن الأول قبل الميلاد – امانى شاخيتو وامانى رينس تربعن على عرش المملكة غير أن أياً من الأبناء (؟) أو الأمراء الذين ظهروا في المجموعات الأسرية لم يخلف أثارا خاصة به تدل على انه تولى زمام الحكم لوحده .

وبعد فترة القرنين الأولين قبل وبعد الميلاد تصاعدت فيها مكانة نساء البلاط الملكي وحققن المشاركة في أمور الحكم تعاقب على حكم المملكة عدد من الرجال الملوك ولم تعد الآثار تعكس ما بات لأولئك النساء من أدوار .

(¹) لورود اسم اكنداد مع الملك ترتقاس انظر (Ins.94) ومع الملكة امانى رينس انظر (Ak.92) ومع امانى شاخيتو انظر (Ibr.st) .

(2) Hintze F., 1968 Civilization of the Old Sudan, Kerma, Kush, Christian Nubia Leipzig, P. 131

الخاتمة ...

وخلاصة رأينا عن مدلول اللقب كنداكَة وحقيقة ما كان للنساء الملكيات (الأمهات والزوجات والأخوات) من مكانة منذ قيام مملكة كوش (نبته — مروي) وتصاعد مكانتهن في النصف الثاني من عمر المملكة تورده فيما يلي:

أولاً : إن اصل مفردة الكلمة "كنداكَة" وجد مكتوباً بالحروف المروية التي أصبح المرويون يكتبون بها بدلا عن الهيروغليفية المصرية ابتداء من القرن الثاني قبل الميلاد. وعن تلك المفردة، فقد كانوا يكتبونها وينطقونها "كذكى أو كت كى أو كدوني". وتأكد من قراءات النصوص المروية أن المفردة كانت لقبا يطلق على المرأة التي يرجى لها أن تنجب الملك القادم أو أنها هي أم الملك القائم. وأن المفردة ليست اسما لملكة بعينها كما أنها لا تعني "ملكة".

ثانيا : إن عظمة الكنداكات لا تكمن في إنهن كن ملكات أو محاربات وإنما لعظم دورهن في ضبط نظام تداول السلطة عن طريق وراثة معلومة وهذا ما حقق للملكة استقرارا وازدهارا طويلا زاد عن الألف عام الأمر الذى مازال يرهقنا في العصر الحديث في السودان (ارض المرويين) عن من يحكم وكيف يكون تداول السلطة .

ثالثا : إن ظهور الكنداكات بصورة لافتة في الفترة المعلومة يرجع لتطور طبيعي في مكانة أمهات وزوجات وأخوات الملوك الذى عرف منذ نشأة المملكة، وبسبب تلك الأسطورة المنسوبة للجد الارا بأن يبقى الملك في نسل أخواته ابد الأبد، وربما جلست أولا واحدة من أولئك الحفيدات على عرش المملكة لقوة شخصيتها أو لغياب الوريث الشرعي أو ربما وصية على عرش ابن قاصر ومن ثم اعتاد المرويون على تسيد النساء بعد تجارب ناجحة لهن في مجال الحكم .

رابعا : وعن المكانة السامية للأمهات بينهم نقدم افتراضا، نقر باننا لا نملك دليلا عليه، ولكن لا نعدم القرائن المغرية بطرحه، وهو أن المرويين في الأساس ربما انحدروا من قوم كانوا يعظمون النساء (الأمهات) ويولوهن تنظيم الوراثة بينهم (حسب النظام الأمومي) مثلما عرف عند بعض الشعوب الأفريقية التي ظلت ترعى مثل هذا التقليد حتى وقت قريب وحينما أخذ الكوشيون بالعقائد الدينية المصرية، خاصة الأمونية، خلعوا على ذلك التقليد الذي كان سائدا بينهم أصلاً الصبغة الدينية التي وردت في أسطورة الجد الارا. ولذلك ظلوا يعظمون نساءهم ودانوا لهن حينما جلست على العرش ملكات في فترات متباعدة دون الشعور باختلال نظام الحكم التقليدي.

والشاهد الأكبر على تعظيم النساء عموما بينهم وبخاصة الأمهات إنهم في

جميع اللوحات المكتوبة باللغة المروية والمعروفة بلوحات القرابين كان الميت ينسب للأب أولاً ثم الأب كقولهم (فلان ابن فلانه الذي أنجبه فلان). وأخيراً لعلنا نرى فيما عرف عن تعظيم النساء في العهد المسيحي في السودان وفي موروثات المجتمع السوداني الحديث صدى للتقاليد المروية التي عظمت النساء وقد جاء في قول الأمير النوبي جورج بن الملك زكريا ملك دنقلا عند زيارته لبغداد في عهد الخليفة المعتصم (833-842 م) عن قومه " أن أمرنا بأيدي نساءنا" ⁽¹⁾ ومازال السودانيون يرددون المثل القائل " الخال شريك الوالد وفي المأتم تنادي النساء الميت " يا ود أُمي " إن كان رجلاً أو يا بت أُمي إن كانت امرأة . ويستعمل لفظ (ولد أُمي) بعض أهل غرب السودان في مخاطبة الأصدقاء الأعزاء وكلها تعابير تكشف عن مدى متانة الصلات الأموية التي غرست في البيئة السودانية منذ العهد المروي ولا تزال . ولتحقيق المزيد من التعرف على أشهر الكنداكات في العالم القديم، وهي الكنداكة التي قاتلت الرومان في الحدود الشمالية لمملكتها وجنوب مصر، والتعريف باللغة والكتابة السودانية القديمة (اللغة المروية) أفردنا ملحقا في نهاية هذه الدراسة يعرف بكل باختصار.

الملاحق

ملحق (1)

الكنداكة وقتال الرومان

ارتبط اشتهار قصة الحرب بين الرومان والمرويين ، في أحد جوانبها إلى ما أشارت إليه المصادر عن أن الجالس على عرش مملكة مروي وقتها (23-21) ق . م كانت امرأة أشاروا إليها بصفتها " الملكة الكنداكة " وجاء عن وصفها في قصة استرابو (Strabo) عن هذه الحرب إنها كانت امرأة قوية البنية (masculine) وأن احد عينيها كانت معطلة (Blind)

(1) A masculine sort of woman and blind in one eye "

وعن أسباب وتقاصيل سير تلك الحرب فقد وردت كلها في كتابات الكتاب الكلاسيكيين الذين عاصر بعضهم أحداثها. ويذكر من هؤلاء دايدورس (Diodorus) واسترابو

(¹) البلاذري، 1932: فتوح البلدان، القاهرة، ص 238

(Strabo) ودايوكاسيوس (Dio-Cassus) وبليني (Pliny) (1)؛ ولم يرد تفصيل عنها في كتابات المرويين، وإن رجح البعض أن هناك شيئاً مضمناً في لوح الحمداب المكتوب باللغة المروية والذي يصعب فهم ما ورد فيه لمحدودية معرفتنا بمعاني تلك الكتابة السودانية (المروية) وأن تمكنا من قراءة ومعرفة معاني بعض الكلمات في لوح الحمداب ومنها كلمة (ارومي - اي روما) (AK-I).

والقصة نرويها باختصار كما وردت في المصادر الكلاسيكية التي اشرنا إليها ولا نقول عنها أنها كلها حقائق لا تخلو من المبالغات أو الانحياز مع اعتماد رواتها كثيراً على مصادر سماعية. ولكن وقبل ذلك ينبغي علينا أن نقدم للموضوع بتوضيح الظرف التاريخي الذي قارب بين القوتين ومن ثم التصادم بينهما. وفي ذلك نعلم أن الإمبراطورية الرومانية وأثناء تمددها واستيلائها على بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط كانت قد ضمت مصر لأملأها الإمبراطورية بعد انتزاعها من حكامها البطالمة (الإغريق) في عام 30 ق.م، وبذلك انتقت القوتان عند الحدود بين البلدين . ويبدو أن وصول الرومان للحدود الشمالية لمملكة مروى أثار حفيظتهم فأغاروا على منطقة أسوان تماماً كما فعل النوبيون بعد ذلك بعدة قرون بعد فتح المسلمين لمصر في عام 642هـ/م .

وإن تعددت مصادرنا التي اشرنا إليها فقد اتفقت جميعاً تقريباً في قصتها عن تلك الحرب، غير أنها اختلفت في بعض التفاصيل. ومجمل ما يمكن استخلاصه من تلك المصادر هو أن المرويين وعلى رأسهم المملكة الكنداكة وجنرالاتها أغاروا على صعيد مصر بإعداد كبير مكتسحين أمامهم البلاد حتى أسوان التي دخلوها وخربوها وسبوا الناس وأنزلوا تمثالاً لقيصر كان منصوباً فيها. وعلى أثر ذلك تصدى لهم القائد الروماني بترونيس (25 - 21 ق.م) وهزمهم في عدة وقائع وتوغل في بلادهم حتى دخل مدينة نبتة وسواها بالأرض . وكان تفوق الجنود الرومان في السلاح واستراتيجية القتال سبب في انتصارهم. وانتهت تلك الحرب بصلح مع وفد من المرويين سار إلي الإمبراطور أغسطس في جزيرة ساموس (Samos). وقيل أنه تفضل عليهم بعدم فرض جزية عليهم وكان من نتائج ذلك أن سادت علاقات طيبة بين مصر الرومانية ومملكة مروى أدت لازدهار شمال المملكة .

وبما أن اسم الملكة الكنداكة التي ثارت تلك الحرب في زمانها لم يذكر فما زال المهتمون المتخصصون مختلفون حول ذلك فمنهم من يرجح أنها كانت الملكة الكنداكة أماني رينس .ومن يرى أنها كانت الملكة الكنداكة أماني شاخيتو المدفونة في الهرم السادس أكبر أهرامات مقبرة البجراوية الشمالية الملكية.

ملحق (2)

الكتابة المروية⁽¹⁾ (السودانية القديمة) :-

تعرف السودانيون القدماء في المناطق الشمالية من البلاد على الكتابة وأهميتها بحكم مجاورتهم وتداخلهم مع المصريين الذين كانوا مع نظرائهم في العراق القديم أول البشر الذين ابتكروا كتابة تعبر عنهم منذ الألف الرابع قبل الميلاد، ومع قيام مملكة كوش (نبته - مروي) من منتصف القرن الثامن قبل الميلاد بدأ ملوك الكوشيون يكتبون بالهيروغليفية المصرية. وكانت الكتابات في مجملها دينية كما كتب بها الملوك لوحات تتويجهم وإنجازاتهم وكانت لوحة نصر بعانخي أول أطول لوحة من ذلك النوع وظل خلفاؤه من الملوك الكوشيين يكتبون بذات اللغة حتى نهايات القرن الرابع قبل الميلاد حيث بدأ تدهور في فهم تلك اللغة وقواعدها. ولا يفهم من ذلك أن كافة السودانيين كانوا يكتبون بتلك اللغة أو يفهمونها بل كانت لهم لغتهم المحلية الخاصة مع ترجيحنا أن قلة من السكان كانت تلم بمعاني اللغة المصرية خاصة طبقة الكهان والإداريين. وأخيراً كان على المرويين ابتكار كتابة خاصة بهم بعد أن عرفوا أهميتها، وكانت تلك هي الكتابة المروية التي نورد فيما يلي تعريفا موجزا بها وفيها وردت كلمة " كنداكة" موضوع الدراسة .

والكتابة المروية كتابة هجائية مطلقة تقريبا ذات ثلاثة وعشرين حرفا وقد كتبت بخطين أحدهما هيروغليفي (حروفه رموز مصورة) والآخر مختزل والخطان مأخوذان من أصول مصرية . النوع الأول حروفه مأخوذة من الهيروغليفية المصرية، والثاني من الهيراطيغية والديموطيغية المصرية. وفي الكتابة المروية الحروف منفصلة عن

(1) يعتقد أن أول من أطلق عليها أسم المروية هو عالم اللغات الألماني بروتش، لكن عالم اللغات عبدالقادر محمود يرى أن هذه اللغة والكتابة كانت مساحة انتشارها أكبر من مروي ويفضل أسم الكتابة السودانية القديمة (عبدالقادر محمود 1986م) .

بعضها البعض كما إنهم درجوا على وضع فاصلة بين الكلمات تتكون من ثلاثة نقاط عمودية في حالة الهيروغليفية، هكذا (:) وفاصلة من نقطتين في حالة الخط المختزل، هكذا () وتكون هذه الفواصل أفقية (...) في حالة الكتابة الصورية العمودية كما اتجهت الكتابة المروية في الغالب من اليمن إلى اليسار، كما يجوز أن تكون عمودية وإن استعارت الكتابة المروية حروفها من الخطوط المصرية الثلاث، التي اشرنا إليها ، فقد لوحظ أنها مختلفة تماما عن الكتابة المصرية في نظامها في خمسة أوجه نوجزها فيما يلي :

- 1- إن الكتابة المصرية الهيروغليفية تستخدم مئات الرموز .
 - 2- تستخدم الكتابة المروية، ثلاثة وعشرون حرفاً.
 - 3- بينما تخلو الكتابة المصرية القديمة من الحروف المتحركة تظهر بالكتابة المروية حروف متحركة تقابل الفتحة والضمة والكسرة وياء النداء .
 - 4- وبينما لجأت الكتابة المصرية لتوضيح كل أصوات الرمز متعددة الصوت لم تحتاج الكتابة المروية لذلك لكونها هجائية .
 - 5- اختلفت الكتابتان في توجيه رموز الكتابة نحو بداية السطر، بينما توجه الرموز في الكتابة المصرية نحو بداية السطر ومن ثم تبدأ القراءة من الجهة التي توجه نحوها الرموز، فإن الرموز في الكتابة المروية توجه اتجاهها عكسيا بحيث تكون نحو نهاية السطر، وتكون القراءة من الجهة التي توليها الرموز ظهرها.
- وبذلك يتضح أن المرويين لم يكونوا نقلة مقلدين لغيرهم، وإنما اخضعوا ما استعاروه لمقتضيات ضرورتهم بالتغيير والتطوير اللازمين، وهكذا كان دأبهم في معظم الكتابات دينية ودنيوية مع غلبة النوع الأول، وكتاباتهم الدينية منقوشة على موائد القرابين واللوحات الجنائزية وعلى جدران المعابد والمقصورات الملحقة بالأهرامات وعلى مداخل القبور، أما الكتابات الدنيوية فقد شملت ما يتعلق بسيرة الملوك والأفراد والمعاملات وأعظم نقشين ملكيين، وجدا هما لوحة الملك المروى تانيدمانى (120- 100 ق.م) ولوحة الأمير اكنداد (64-69 ق.م)
- إشكالية الكتاب المروية :

الكتابة المروية مثلها مثل الكتابات المصرية والعراقية القديمة تعد من اللغات الميتة، وهي اللغات التي لم يعد يتحدث بها احد وقد حظيت هذه الكتابات باهتمام بالغ من علماء اللغات القديمة، وفكت رموز الهيروغليفية المصرية والمسمارية السومرية، بمعنى قرئت وفهمت معانى مدلولاتها وقد تحقق للغة المروية، الشق الأول وهو استعادة أصوات اللغة كما فهمت كثير من معانى الكلمات والتعابير والقواعد غير أن الفهم الكامل لمعاني ما كتبه المرويون لم يتحقق بعد. ونخلص من ذلك بالقول إن الخط المروى كان هجائيا سهل التعلم والكتابة، وإن المعرفة به انتشرت بين عامة المرويين في زمانهم حتى أن دايدور الصقلي وهو من كتاب القرن الأول الميلادي زعم بأن كل المرويين كانوا يكتبون بينما اقتصرت معرفة الكتابة في مصر في أواسط الكهان¹.(Diodorus III.).

المصادر والمراجع:

1. أبو النصر مبشر الطرازي 1977 المرأة وحقوقها في الإسلام، القاهرة
2. البلاذري 193 فتوح البلدان، القاهرة. الرياض.
3. حسن مكي (بدون تاريخ) الثقافة السنارية – المغزى والمضمون، جامعة إفريقيا، مركز البحوث.
4. حسن محمد صالح وآخرون، 2017 السياسات الاستعمارية السالبة، ومقاومة أبناء جبال النوبة وجنوب السودان للحكم الأجنبي.
5. عبدالقادر محمود عبدالله 1986 اللغة المروية، الجزء الأول، الرياض مطابع جامعة الملك سعود.
6. 2017 السودان القديم كما وثقته الأدلة النصية والقديمة، ج 1.
7. عمر حاج الزاكي، الإله آمون في مملكة مروى. جامعة الخرطوم، مطبوعات كلية الدراسات العليا، 1983.

(¹) لمزيد من المعرفة بهذه الكتابة نرجع القاري لمصدرين أساسيين أحدهما باللغة العربية للبروفسير عبدالقادر محمود عبدالله والآخر باللغة الإنجليزية لعالم اللغات قريث في كتابيهما المشار إليهما في المصادر.

8. عمر حاج الزاكي الاستمرارية والتغيير في ثقافة وادي النيل الأوسط، مجلة العلوم الإنسانية، العدد الثاني، ليبيا، جامعة ناصر، 1991.
9. عمر حاج الزاكي مملكة مروى التاريخ والحضارة، دمشق، مطبعة الصالحاني.
10. ساميه بشير دفع الله 2008، السودان في كتب اليونان والرومان، ط 1، الخرطوم منشورات جامع السودان المفتوحة.
11. سليم حسن، 1957 مصر القديمة، ج11. القاهرة مطبعة جامعة القاهرة.
12. نفيسة أحمد الأمين، 2017، ملامح من الحركة الوطنية النسائية في نصف قرن (47- 1997).

مصادر باللغات الأوربية

- 1-Arkell, a.J. 1955 " Egyptian Invasion of the Sudan in 591 B.C" Kush
- 2-Budge,E.A 1912 Egyptian Religion. Annals of Nubian kings (London)
- 3-Caminons,R.A,1968 " The Nitocris Adoption Stela " JEA.54,pp.71-101
- 4-Desanges, R.A. 1968 Vuesgrecquesurquelques aspects delamonarchemerpoitique BIFO , pp , 89 -104.
- 5-DIO Cassious1961Roman History (London)
- 6-DIO dorus 1996Geography, Book 1-3(London)
- 7-Dunham,D1957 The Royal Cemeteries of Kush,Vol.IV.
- 8-Garstang,J 1911Meroe ,the city of the Ethiopians (Oxford)
- 9-Griffith,F, 1911a Karanog , The MeroiticInscriptions of shablul and Karannog.
- 10- Griffith,F, 1911.b Meroiticand Inscription part 1 (London)
- 11-Hakim, A.M.A 1975" The city of Meroe and the myth of Napata"ABAB"pp,120-131 .

- 12-Haycock,B.G. 1965 The Kingship of Cush in the Sudan " CSSH,7,p.p.461-80
- 13-Hintz,F. 1959 Preliminary Report of the Butana expedition 1958 Kush 7,p.p.171-96
- 14- 1968 Civilization of The Old Sudan , Kerma , Kush ,Cristian Nubia (Lepsius)
- 15-Macadam,M.F. 1949 The Temples of Kawa 2 vols.vol.1,the inscriptions,vol.2,the plates
- 16- 1966 Queen Nawidemak,
- 17- 19 Allen Memorial Museum Bulletin vol.23,no.3 p.p.42-46.
- 17- Pliny1938 Natura history (London)
- 18- Resner ,G.A1919 (Discovery of The Tombs of The Egyptian at elKurru in Dongola, S N R, 2, PP.237-64.
- 19- 1921 (Historical Inscriptions From Gebel Barkal) SNR,4,59-74.
- 20-Torok,L , 1989 Kush and the external world
- 19-Trigger,B.1970 The Meroitic Inscriptions from Armina West.
- 20-Weing, S. 1968 Africa in Antiquity
- 21-Zaki ,O.H1975Seniority and Significance of some late Meroitic titles (Unpub.M.A. thesisUniv of Khartoum)

Abbreviations

- Ak. I Stela of Akindad(Griffith 1917-159-173)
- Ak.II Stela of Akinidad(Hintze, Kush IX,278-282)
- A.w. Refers to the Meroitic Inscriptions published in Triger 1970.
- Beg.s. Refers to the royal tombs of the south cemetey of Begrawiya
- Beg.N. North cemetey of Begrawiya
- BIFO:Bulletin de Institut Frncais d Archeologie Orientale (Cairo)
- Ded.st. Refers to king Aspelta Stela concerning his sister Madgin(Bugde 1912)
- CSSR : Comparative Studies in Society and History (Hague)

- Elect.st. Refers to the Stela of the kings Aspelta,
- Hars,st. Harsiotef ,Nastasin and Tanutamani,stela.
- Nast.st . (Published in Budge,1912).

Inscr. Refers to the royal inscriptions written in Egyptain Hieroglyphic, published in Macadam 1949.

Ibr.st. Refers to the Meroitic Stela from Ibrim

Kar. Refers to the Meroitic inscriptions from Karanog, (Griffith 1911 a)

Kawa Refers to the Meroitic inscription from Kawa I Macadam 1911 a)

Mer. Meroitic Inscriptions from Meroe(Garstang 1911)

MI.1 Meroitic Inscriptions published by Griffith in (1911,b)

MI.1 Meriotic Inscriptions published by Griffith in (1911, b)

Pye.2 Pye(Pienkhi) Stela published in Resiner

